الباب التاسع عشر
في ذكر كسوة أهل النار ولباسهم فيها

قال الله تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾ [الحج:١٩] .

وكان إبراهيم التيمي إذا تلا هذه الآية يقول : سبحان من خلق من النار ثيابًا .

وروينا من طريق يحيى بن معين ، حدثنا أبو عبيدة الحداد ، حدثنا عبد الله بن بحير ، عن عباس الجريري ـ أحسبه عن ابن عباس ـ قال : يقطع للكافر ثياب من نار حتى ذكر القباء والقميص والكمة .

١ ـ (١٣٠) وخرج أبو داود وغيره من حديث المستورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **من أكل برجُل مسلم أكلة في الدنيا أطعمه الله مثلها في جهنم ، ومن كُسِي أو اكتسى برجل مسلم ثوبًا كساه الله مثله في جهنم** » [(١)] .

٢ ـ (١٣١) وفي مسند الإمام أحمد عن حبيب بن المغفل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **من وطئ إزاره خيلاء وطئه في النار** » [(٢)] . وهو يبين معنى :

٣ ـ (١٣٢) ما في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « **ما تحت الكعبين من الإزار ففي النار** » [(٣)] . أن المراد ما تحت الكعب من البدن والثوب معًا وأنه يسحب ثوبه في النار كما يسحبه في الدنيا خيلاء .

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الأدب ، باب في الغيبة ٥/ ١٩٥ (٤٨٨١) ، والإمام أحمد في المسند ٤/ ٢٢٩ ، والحاكم في المستدرك ٤/ ١٢٨وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ا.هـ. ووافقه الذهبي . وقال الألباني في : الصحيحة ٢/ ٦٤٤ (٩٣٤) : وبالجملة فالحديث بمجموع هذه الطرق صحيح ا.هـ. المكتب الإسلامي . بيروت . دمشق . الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م . والمعنى : أن الرجل الذي يذهب إلى عدو الرجل ، فيتكلم فيه بغير الحقيقة من أجل أن يجوز على ذلك بجائزة ، فإنه يُطعم ويكسى في النار بمثل ما طعم وكسى من وراء ذلك . « والله أعلم » .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٤٣٧ ، ٤/ ٢٣٧ ، ٢٣٨ . بأسانيد بعضها صحيح ، وبعضها حسن لأجل ابن لهيعة . وعنده عن هُبيب بن مِغفل ، وله ترجمة في : الإصابة ١٠/ ٢٣٧ (٨٩٣٥) .

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب اللباس ، باب ما أسفل من الكعبين فهو في النار ٧/ ١٨٣ وعنده « **ما أسفل الكعبين ...** » .

٤ ـ (١٣٣) وسيأتي حديث : « **أهون أهل النار عذابا من في قدميه نعلان من نار يغلي فيهما دماغه** » [(١)] فيما بعد إن شاء الله تعالى .

٥ ـ (١٣٤) وفي كتاب أبي داود والنسائي والترمذي عن بريدة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى على رجل خاتمًا من حديد فقال : « **مالي أرى عليك حِلْية أهل النار ؟** » [(٢)] .

٦ ـ (١٣٥) وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « **أن أول من يكسى حلة من النار إبليس يضعها على حاجبه ويسحبها من خلفه ذريته وهو يقول : يا ثبوره ، وهم ينادون : يا ثبورهم حتى يقفوا على النار ، فيقول : يا ثبوره ، ويقولون : يا ثبورهم** » فيقال : ﴿ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾ [(٣)] [الفرقان:١٤] خرجه الإمام أحمد .

٧ ـ (٢٨) وفي حديث عدي الكندي عن عمر أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : « **والذي بعثك بالحق لو أن ثوبًا من ثياب النار علق بين السماء والأرض لمات من في الأرض كلهم جميعًا من حره** » [(٤)] . وخرجه الطبراني ، وسبق ذكر إسناده .

٨ ـ (٥٩) وفي موعظة الأوزاعي للمنصور قال : بلغني أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر بنحوه[(٥)] .

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الرقاق ، وباب صفة الجنة والنار ٨/ ١٤٤ ، ومسلم في الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب أهون أهل النار عذابا ١/ ١٩٦ (٢١٣) . عن النعمان بن بشير رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الخاتم ، باب ما جاء في خاتم الحديد ٤/ ٤٢٩ (٤٢٢٣) ، والترمذي في السنن ، أبواب اللباس ، باب ما جاء في الخاتم الحديد ٧/ ٢٧٩ [بشرح الإمام ابن العربي المالكي] وقال الترمذي : « هذا حديث غريب » . ا.هـ ، والنسائي في السنن ، كتاب الزينة ، باب مقدار ما يجعل في الخاتم من الفضة ٨/ ١٧٢ [بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي] .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ١٥٢ ، ١٥٣ ، ٢٤٩ ، وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٩٢ : « رواه أحمد والبزار ورجالهما رجال الصحيح غير على بن زيد وقد وثق » ا.هـ .

(٤) سبق ذكره وتخريجه برقم (٢٨) .

(٥) سبق صـ ٩٦ . برقم (٥٩) .

فصل
في أن سرابيل أهل النار من قطران

قال الله عز وجل : ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [إبراهيم:٤٩، ٥٠] .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿ قَطِرَانٍ ﴾ قال : هو النحاس المذاب .

وروى حصين عن عكرمة في قوله : ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ قال : من صفر يحمى عليها . قال معمر عن قتادة في قوله : ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ قال : من النحاس . قال معمر : وقال الحسن : قطران الإبل .

٩ ـ (١٣٦) وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **النائحة إذا لم تتب قبل موتها تُقام يوم القيامة وعليها سربالًا من قَطِران ودِرْعٌ من جَرب** » [(١)] .

١٠ ـ (..) وخرجه ابن ماجه ولفظه : « **النائحة إذا ماتت ولم تتب قَطَع الله لها ثيابًا من قطران ودرعًا من لهب النار** » [(٢)] .

١١ ـ (..) وخرج ابن ماجه أيضًا من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « **النائحة إذا لم تتب قبل أن تموت فإنها تبعث يوم القيامة وعليها سرابيل من قطران يغلي عليها بدروع من لهب النار** » [(٣)] .

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الجنائز ، باب التشديد في النياحة ٢/ ٦٤٤ (٩٣٤) .
« **سربال من قطران** » : السربال بمعنى القميص . « **ودرع من جرب** » : يعني يُسلط على أعضائها الجرب والحكة بحيث يغطي بدنها تغطية الدرع ، وهو القميص ا.هـ.

(٢) أخرجه ابن ماجه في السنن ، كتاب الجنائز ، باب في النهي عن النياحة ١/ ٥٠٤ (١٥٨١) وفي الزوائد : « إسناده صحيح ، ورجاله ثقات » ا . هـ.

(٣) أخرجه ابن ماجه في الموضع السابق (١٥٨٢) وفي الزوائد : « في إسناده عمر بن راشد ، قال فيه الإمام أحمد : حديثه ضعيف ليس بمستقيم . وقال ابن معين : ضعيف .. وقال الدارقطني في العلل : متروك » ا.هـ .

فصل

تفسير قوله تعالى : ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاش ﴾

قال الله تعالى : ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاش ﴾ [الأعراف:٤١] .

قال محمد بن كعب والضحاك والسدي وغيرهم : المهاد : الفراش ، والغواش : اللحف . وقال الحسن في قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الاسراء:٨] قال : فراشًا ومهادًا . وقال قتادة : محبسًا حصروا فيها .

وروى مسكين عن حوشب عن الحسن أنه كان إذا ذكر أهل النار قال في وصفهم : قد حذيت لهم نعال من نار ، وسرابيل من قطران ، وطعامهم من نار ، وشرابهم من نار ، وفرش من نار ، ولحف من نار ، ومساكن من نار ، في شر دار وأسوأ عذاب في الأجساد ، أكلا أكلا ، وصهرًا صهرًا ، وحطمًا حطمًا .

وروى داود بن المحبر عن الحسن بن واصل ، وعبد الواحد بن زيد عن الحسن قال : إن رجلا من صدر هذه الأمة كان إذا دخل المقابر نادى : يا أهل القبور بعد الرفاهية والنعيم معالجة الأغلال في النار ، وبعد القطن والكتان لباس القطران ومقطعات النيران ، وبعد تلطف الخدم والحشم ومعانقة الأزواج مقارنة الشيطان في نار جهنم مقرنين في الأصفاد .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن وهب بن منبه قال : أما أهل النار الذي هم أهلها فهم في النار لا يهدؤون ولا ينامون ولا يموتون ، ويمشون على النار ويجلسون على النار ، ويشربون من صديد أهل النار ، ويأكلون من زقوم النار ، فرشهم ولحفهم نار ، وقمصهم نار وقطران ، وتغشى وجوههم النار ، وجميع أهل النار في سلاسل بأيدي الخزنة أطرافها يجذبون مقبلين ومدبرين ، فيسيل صديدهم إلى حفر في النار ، فذلك شرابهم ، قال : ثم بكى وهب حتى سقط مغشيًّا عليه[1] . وغلب بكر بن خنيس عند روايته هذا الحديث البكاء حتى قام فلم يقدر أن يتكلم ،

---

(١) ابن أبي الدنيا في : صفة النار ١/ ١٢٤ (١٢٤) .

وبكى محمد بن جعفر بكاء شديدًا .

وبإسناده عن هداب قال : أقبلت أم يحيى بن زكريا على يحيى في ثوب تعالجه له ليلبسه فقال لها : أفعل ، فقالت : من أي شيء ؟ قال : من شعر ، قالت : يا بني إذًا يأكل لحمك قال : يا أمه إذا ذكرت مقطعات أهل النار لان عليّ جلدي .

وكان عطاء الخراساني ينادي أصحابه في السفر : يا فلان ويا فلان قيام هذا الليل وصيام هذا النهار أيسر من شراب الصديد ومقطعات الحديد ألواحًا ثم ألواحًا ثم ألواحًا ، ثم يقبل على صلاته .

ولما ماتت النوار امرأة الفرزدق ودفنت وقف الفرزدق على قبرها وأنشد بحضور الحسن ـ رحمه الله ـ هذه الأبيات قال :

أخـــاف وراء القـــبر إن لم يُعـــافني ... أشـد مـن القـبر التهابـاً وأضـيقا

إذا جـــاءني يـــوم القيامـــة قائـــد ... عنيـف وسـوّاق يسـوق الفرزدقـا

لقـد خـاب مـن أولاد آدم مـن مشـى ... إلى النـار مغلـول القـلادة أزرقـا

يســـاق إلى نـــار الجحـــيم مسربـــلاً ... سرابيـــل قطـــران لباســـا محرّقـــا

إذا شربـــوا فيهـــا الصـــديد رأيـــتهم ... يـذوبون مـن حـر الصـديد تمزّقـا

فبكى الحسن ـ رحمة الله عليه .

*****